مجلّة بيبليا ٤١ (٢٠٠٩) ٢١-٢٦.

بولس الشغوف بشعبه والمتجذّر بتنشئته[١]

الأخت روز أبي عاد

مقدّمة

كان بولس منذ بداية رسالته موضوع رفض ثنائي: فمن جهة، إنّه رسول الأمم الذي وُلد يهوديًا وظلّ محافظًا على هويته طيلة حياته، لا بل لم ينفكّ يذكّر اليهود بهويتهم وبانتمائهم إلى شعب العهد، ومن جهة ثانية فبولس اليهودي الذي كان يُعلن للأمم الوثنية أنّه بيسوع المتأتي من أصل يهودي وبه وحده يمكنهم أن يجدوا الخلاص. وفي إطار هذه الثنائية، كان بولس يهوديًا متحمّسًا، شغوفًا بحبه لشعبه لدرجة أنّه تمنّى لو كان هو نفسه محرومًا ومنفصلاً عن المسيح في سبيل إخوته بني قومه باللحم والدم، أمّا معاونوه وتلاميذه، مستمعوه وقرّاؤه فكان يجدهم من غير اليهود.

مَن يقرأ سفر أعمال الرسل ورسائل بولس لا يمكنه إلا أن يستشف بوضوح تام مدى تعلّق بولس بشعبه ومدى إنطباعه بتنشئته الراسخة، ولكن السؤال البديهي الذي نطرحه: كيف أفاد بولس من غنى شخصيته التي كانت تضمّ عوالم ثلاثة، اليهودية واليونانية والرومانية مستثمرًا إيّاها في إطار تبشيره بيسوع المسيح الذي مذ أن التقاه على طريق دمشق حتى سبا منه حياته بأسرها بما فيها قلبه وتفكيره؟

بولس الشغوف بشعبه

كان إيمان بولس إيمان إسرائيل، الشعب الذي ينتمي إليه بولس بكل فخر واعتزاز؛ والله الذي ظهر للآباء والذي أعطى شعبه التوراة بواسطة موسى، والذي دلّه على الطريق القويم بفم الأنبياء، لا يمكنه الآن أن يرفضه، بل أن يفتديه (رو ١١: ١).

في رسالته إلى أهل فلبي يعلن بولس عن هويته اليهودية باعتزاز ويذكر أنّه مختون في اليوم الثامن وأنّه من بني إسرائيل من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين أمّا في الشريعة فهو فرّيسي (را فل ٣: ٥)[٢]. إذًا، هو لا يُخفي انّه، في الحميّة، كان مضطهدًا الكنيسة، وأنّه، في البرّ الذي يُنال بالشريعة، لم يكن عليه ايّ لوم (را فل ٣: ٦)، لا بل أنّه حافظ

[١] مجلة بيبليا ٤١ (٢٠٠٩) ص ٢١-٢٦.

[٢] في بعض الأحيان الحاسمة من حياته، شدّد بولس على مواطنيته الرومانية، كما جرى له خلال سجنه في فلبّي (را أع ١٦: ٢١، ٣٧) وتباهى بها أمام القائد الروماني الذي دفع غاليًا ليحصل عليها (أع ٢٢: ٢٥-٢٨)، وأفاد منها في دفاعه عن نفسه أمام الحاكم فيلكس في قيصرية (را أع ٢٣: ٢٧) وأيضًا أمام الحاكم أغريبا (را أع ٢٦: ٣٢).

بدقّة على التعليمات الربّينية[٣]. لكن، وفي مكان آخر، يبدو واضحًا لنا أن مشاعر بولس تتعارض في ما يتعلّق بموضوع شعبه؛ فمن ناحية لا مجال للشك بالحكم الصارم الذي يوجّهه إلى اليهود "هُمُ الَّذينَ قَتَلوا الرَّبَّ يسوعَ والأَنبِياءَ واضطَهَدونا، وهُمُ الَّذينَ لا يُرْضونَ اللهَ ويُعادونَ جَميعَ النَّاس فيَمنَعونَنا أَن نُكَلِّمَ الوَثنِيِّينَ لِيَنالوا الخَلاص، فيَبلُغونَ بِخَطاياهم إِلى أَقْصى حَدٍّ دائِمًا أَبَدًا، ولكِنَّ الغَضَبَ نَزَلَ علَيهِم آخِرَ الأَمْر" (١ تس ٢: ١٥-١٦)، وممّا يؤجّج نار هذا التعارض تجاه اليهود هو أنّ بولس كان يلقى التفهّم من غير اليهود، أمّا من قِبل بني ملّته فلم يحظَ إلاّ بالمتاعب الكبيرة والمعاملات السيّئة. من الطبيعي إذًا أن يلجأ بولس إلى استعمال عنف الألفاظ. فغضبه على اليهود ناتج عن المضايقات والاضطهادات التي ألحقها به هؤلاء، لنسمعه يسردها في ٢ كور ١١: ٢٤-٢٦ "جَلَدَني اليَهودُ خَمسَ مَرَّاتٍ أَربَعينَ جَلْدَةً إِلاَّ واحِدة ، ضُرِبتُ بِالعِصِيِّ ثَلاثَ مَرَّات، رُجِمتُ مَرَّةً واحِدَة (...) أَخطارٌ مِنَ الأَنْهار (...) أَخطارٌ مِن بَني قَومي (...)." والواقع، فاليهود هم الذين أوجدوا المصاعب في وجه بولس ووشَوا به أمام السلطات إذ وجدوا فيه خطرًا مداهمًا. إزاء إستياء بولس المتفاقم من تصرّف بني قومه، ها هو يطالعنا في رو ٩-١١ بإعلان حبّه العظيم لشعبه والذي يُستخلَص في ١١: ١ "فأَقولُ إِذًا: أَتُرى نَبَذَ اللهُ شَعبَه؟ حاشَ لَه!". تعكس صرخة بولس التعجبية "حاشَ لَه!" الذعر الذي ينتاب الانسان عندما يتلفّظ بشيء لا ينويه على الإطلاق، ولذا يبادر فورًا إلى استبعاد ما لم يتفادَ عن قوله. يشدّد بولس هنا على حقّ اليهود الأكيد في أن يعتبروا أنفسهم أبناء الله. فإسرائيل هو "أصل الزيتونة" والوثنيون ليسوا سوى بعض فروع لزيتونة برّية وقد قضّبت وطعّمت مكانها (را رو ١١: ١٧-٢٠). ممّا سبق، يمكننا أن نكوّن فكرة عن المحنة المؤلمة التي تمزّق بولس بين حبّه لشعبه ومعاناته الحادّة منه.

في الفصول رو ٩-١١، يلجأ بولس إلى الحجج الأكثر إقناعًا حول موضوع "سرّ اسرائيل". فيُدرك إدراكًا لا يحتمل أيّ التباس حتميّة اختيار الله لهذا الشعب، وبالتالي، فلا رجوع عن مقولة أنّ الشعب اليهودي يبقى شعب الوعد. على أنّ بولس، رغم تبنّيه لسرّ الله، نراه مغمورًا في ألم عميق. وفي رو ٩: ٣، يذهب بعيدًا في حبّه لشعبه ولا ينثني يعلن عن بغيته في أن يكون هو نفسه محرومًا ومنفصلاً عن المسيح في سبيل إخوته بني قومه باللحم والدم. لا شكّ أنّ استعداده لأن يتنازل عن خلاص المسيح له يكلّف بولس أثمن ما عنده، فهو بعدوله عن خلاص المسيح يجسّد بالواقع ما تقتضيه المحبة التي "تعذر كلّ شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتتحمّل كلّ شيء" (١ كور ١٣: ٦). فهو يتماثل والشعب اليهودي دون أيّ تحفّظ، فيما لو أنّ حالته هذه يمكنها أن تساعد إخوته اليهود ليجدوا الطريق المؤدّي إلى المسيح. فمنذ مدخل الفصل التاسع، يحذّر بولس المسيحيين الرومانيين المتأتّين من أصل وثني الذين كانوا يريدون إعتبار الشعب اليهودي وكأنّه منبوذ من الله ويتمسّك باختيار الله لإسرائيل. وبموقفه هذا، يبقى ملتزمًا بمنهج

[٣] من الواضح، أنّه يجدر ببولس أن يُظهر هذه الأمور لأنّ أهل فليبي لا يعرفون هذا الجانب من شخصيته.

اللاهوتي اليهودي على أكمل وجه. بالنسبة إليه، فإنّ موضوع تبنّي الله يعود فقط إلى إسرائيل، ومعه أقام عهده، وإيّاه أعطى الشريعة والعبادة والوعود النهيوية. نشير إلى أنّ بولس يذكر الشريعة وكأنّها إحدى هبات الله لإسرائيل، لكنّه يميّز بين الانتماء البشريّ المحض إلى إسرائيل والانتماء الروحي إليه. ممّا لا شكّ فيه، أنّه وبالرغم من أنّ بولس سيُدعى رسول الأمم، فهو لم يكفّ يومًا عن مبادرة التبشير في المجامع اليهودية وإعلان الإنجيل أولاً إلى اليهود، ومن ثمّ كان ينتقل إلى الوثنيين.

ممّا تقدّم، لا يمكننا ألاّ أن نستجلي حب بولس لشعبه الذي ما يزال يسري في عروقه، وبنوع خاص إلى مدينة أورشليم التي رغم غيابه عنها، ظلّ مرتبطًا بجماعتها. فها هو ينقل الهبات المرسَلة إليها من قِبَل مؤمني الشتات (را رو ١٥: ٢٦)[٤].

بولس المتجذّر بتنشئته

علينا أن نقبل أن يهودية بولس كانت يهودية هلّينية، يهوديّة الشتات، غير أنّه علينا ألاّ ننسى أنّ تأكيداته الإيمانية، حسبما نجدها في رسائله ، تصدر عن يهودي ذي تنشئة فرّيسية، وقد اقتبس تفكيره من ينابيع التعليم العبري. فهل نبالغ إذا ربطنا حدث تفويض بولس وتوكيله من قبل الكهنة والسنهدرين بغية مطاردة أتباع يسوع وتوقيفهم، بولائه المخلص للسلطات[٥]. سيظلّ بولس يمدح الإخلاص للسلطات: "لِيَخضَعْ كُلُّ امرِئٍ لِلسُّلُطاتِ الَّتي بأَيدِيها الأَمْر، فلا سُلْطَةَ إِلاَّ مِن عِندِ الله، والسُّلُطاتُ القائِمة هو الَّذي أَقامَها . فمَن عارَضَ السُّلْطَة قاوَمَ النِّظامَ الَّذي أَرادَهُ الله، والمقاوِمونَ يَجلُبونَ الحُكْمَ على أَنفُسِهم" (رو ١٣: ١-٢)؛ أليس من المدهش أن نسمع رأيًا كهذا ممّن هو أكبر ثائر في عصره؟

في غل ١: ١٢-١٦، يضع بولس نفسه بموازاة إرميا، إذ إنّ النبي بدوره قد أُفرد من حشا أمّه ودُعي لأن يكون نبي الأمم (إر ١: ٥)، زد على ذلك ما كتبه في الرسالة إلى أهل فليبي في جوّ من الانتظار الإسكاتولوجي الذي يدعوه "يوم المسيح". إنّه يوم الدينونة الذي يرد في كتاب النبي يوئيل.

[٤] لا شكّ أنّ هذا الولاء للكنيسة الأم كان يدعم إنتسابه أمام سائر الرسل.

[٥] را أع ٩: ٢؛ ٢٢: ٥؛ ٢٦: ١٠.

وفي كتاب أعمال الرسل حيث تروى قصة لقاء بولس بالمسيح في ثلاثة أماكن[٦]، نتوقّف على ما جاء في ٢٦: ١٤، يذكر هنا بولس صراحة أنّ المسيح القائم يتوجّه إليه "بالعبرية". هذا التفصيل عليه أن يُلفت انتباهنا؛ فنداء يسوع الذي يبدأ بسؤاله الملحّ "شاول شاول، لماذا تضطهدني؟" يوجّهه على أبواب مدينة دمشق إلى بولس اليهودي المولود في طرسوس أي في الشتات الهلّيني، ولكنّه محرَّر باللغة العبرية المحكية في أورشليم. فمنذ لقائه بالمسيح سيفهم بولس أنّ عليه أن يوصل البشرى السّارة أولاً إلى شعبه قبل أن ينطلق إلى الوثنيين.

في حين أن يسوع، خلال فترة تجسّده على أرض فلسطين كان النموذج الرمزي لليهودية الفلسطينية، إذ كان يتكلّم الآرامية، وكان يغرف ثقافته الدينية من الكتاب المقدّس العبري، ولم يتحفّظ خلال سنيّ تبشيره من أن يوصي تلاميذه ألاّ يسلكوا طريق الأمم، وأن يتجنّبوا مدن السامريين (را مت ١٠: ٥-٦)، لا بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين أكّد "أنّ الخلاص يأتي من اليهود" (يو ٤: ٢٢)، كما اعتبر، في مكان آخر أنّه جاء إلى "الخراف الضّالة من بيت إسرائيل"، واخيرًا، إنّ علّة صلبه "يسوع الناصري ملك اليهود" هي التي جعلت صلبه حتميًا، بالمقابل، كانت صورة بولس مغايرة تمامًا، إذ أكّد بنفسه أنّه صار لليهود كاليهودي... وصار للذين ليس لهم شريعة كالذي ليس له شريعة، فجعل من نفسه عبدًا لجميع الناس كي يربح أكثرهم (را ١كور ٩: ١٩-٢٣). إنّه الموقف المميَّز ليهودي يعيش في الشتات والمطلوب منه أن يكون صلة الوصل بين ثلاثة عوالم: العالم اليهودي والعالم الهلّيني والعالم الروماني.

من بين النقاط الرئيسية التي يتمحور حولها لاهوت بولس نجد موضوع مجابهته للشريعة، بحيث يبدو ورعه الديني مرتبطًا بلاهوته، لا بل لا نغالي إذا قلنا أنّ سيرته الحياتية قد غدت محدّدة بدوافعه اللاهوتية. عندما كان بولس يتكلّم عن مفهوم "التوراة" أي الشريعة العبرية، كان يستعمل كلمة "ناموس" التي كان يقتبسها من الترجمة السبعينية اليونانية للكتاب المقدّس، وهذه كانت حال سائر يهود الشتات الذين كانوا يتآلفون بالحري مع النص اليوناني أكثر منه مع النص العبراني. مع مرور الزمن، توسّعت كلمة "توراة" بالمعنى حتى إنّها أصبحت تعني أحيانًا كتب الشريعة الخمسة وأحيانًا طال المعنى سائر أسفار العهد القديم. أضف إلى ذلك، ففي الأوساط الفرّيسية التي انتمى إليها بولس إكتسبت كلمة توراة معنيين: التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية، وهذه الأخيرة كانت تحوي التقاليد الشفهية التي كانت تتكوّن حول النص المكتوب. إنّ الفرّيسيين، إذ ألحقوا الوصايا الموجودة في الكتاب المقدّس بالوصايا العملية، أدخلوا الشريعة في مجموعة مركّبة من الوصايا التي أوصى بها الله والأحكام والفرائض التي تعود إلى الختانة وتتضمّن كلّ ما يختصّ بالمآكل وفرائض الطهارة وأحكام تقديس السبت والأعياد. وعليه، عندما يتكلّم بولس عن المعاناة التي تسبّبها

[٦] را أع ٩: ١-١٩؛ ٢٢: ٥-١٦؛ ٢٦: ١٠-١٨.

الشريعة، فهو يقصد الوصايا الـ ٦١٣ التي أقامها حكماء شعبه، فأوجدوا بذلك عالَمًا تحكمه الشريعة والتقليد، وبالتالي، فإنّ حياة اليهودي بأسرها أصبحت تدور ضمن دائرة هذه الأحكام فتبدو هذه الأخيرة المعيار الوحيد المطلوب من اليهودي أن يطبّق حياته عليه. من هنا يمكننا أن نتخيّل النظام الحديدي الذي نتج عن هذه الحالة. وكثُرت الأسئلة: هل يمكن لأيّ كان أن يُقيم الصلاة ثلاث مرّات يوميًا مع ما تستلزمه من تأمّل وخشوع؟ هل يمكن لأيّ كان أن يضع طيلة أيام الأسبوع العصائب على الذراع اليسرى وعلى الجبين ليظلّ يشعر أنّ كلمة الله تدير أعماله ونواياه؟ هل يمكن لأيّ كان أن يحافظ على كلّ التنظيمات الشديدة التي تختصّ بيوم السبت؟ لقد اختبر بولس نير الشريعة التي كانت تُظهِر للانسان عدم كفاءته لممارستها إذ كانت تعجز الطبيعة الانسانية عن تطبيقها لدرجة أنّ بولس لم يعد يسأل: مَن يخلّصنا من الخطيئة؟ بل مَن يخلّصنا من الشريعة؟ وها هو يجيب "المسيح افتدانا من لعنة الشريعة" (غل ٣: ١٣). في تفكير بولس، لم يكن ممكنًا فصل الشريعة عن العهد: فالله قام بعهد مع إسرائيل وختمه بالشريعة. والوثنيون، كونهم خارج العهد، ليس لهم أيّ التزام بالشريعة. أمّا الآن، وإذ ينعم العالم بأسره بالحرية، وإذ صالح العالم بتضحيته بابنه، فلم يعد جائزًا إخضاع الوثنيين تحت نير الشريعة لجذبهم نحو حرية المسيح. وبالحقيقة، فهو يعتقد أنّ الشريعة قد فات أوانها وهو شخصيًا قد مات عنها[٧]، وعليه، فمن العبث إلزام جميع الناس بها في حين أنّهم لم يولدوا تحت ظلّها.

بالرغم ممّا تقدّم، يمكننا أن نتبيّن موقفين لبولس إزاء الشريعة: فمن ناحية، ها هو يورد أنّ الإيمان عُدَّ لإبراهيم برًا قبل الختان، كما أنّ الوعد الذي وُعد به إبراهيم لا يعود إلى الشريعة، بل إلى برّ الإيمان (روم ٤: ١٠ ي)، ولكن من ناحية أخرى ها هو بولس بذاته يختن طيموتاوس، إبن أمٍّ يهودية وأب يوناني، ذلك أنّه حسب المفهوم الفرّيسين على طيموتاوس أن يحترم الشرائع التقويّة اليهودية. فالسؤال الذي نطرحه على بولس: "إذا كانت الشريعة مؤدِّبًا لنا إلى مجيء المسيح لننال البرّ بالإيمان، ولما جاء الإيمان لم نبقَ في حراسة المؤدِّب..." (غل ٣: ٢٤-٢٥) فكيف به يعود إلى المحافظة على ما تقتضيه الشريعة من رُتَبٍ طقسية وكأنّه اليهودي الورع إن بختانته لطيموتاوس أو باطّهاره قبل دخول الهيكل وفقًا لما تقتضيه أحكام الشريعة (أع ٢١: ٢٦)؟

من ناحية أخرى، عندما يتخطّى بولس الديانة اليهودية واضعًا الإيمان مكان الشريعة (را رو ١: ١٦-١٧)، معتبرًا أنّ الإيمان وحده يُعتبَر وكلّ ما سواه يندثر "فالإنسان يُبرَّر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة" (رو ٣: ٢٨)، فهو يستشهد بنصٍّ من العهد القديم ليس إلاّ. إذًا، نجد سياق التفكير ذاته لدى بولس ولدى العهد القديم، فعبارة "البار بإيمانه يحيا" المقتبسة من النبي حبقوق (٢: ٤) تمثّل خلاصة الرسالة إلى الرومانيين.

[٧] را رو ٧: ٦؛ غل ٢: ١٩.

في الفصل السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنتس، يجيب بولس، حسب الطريقة اليهودية، على الأسئلة التي وُجّهت إليه في موضوع الخصومات التي تنشأ بين المسيحيين. إنّه يلومهم بحميّة كيف أنّهم يتقاضَون لدى الوثنيين في حين أنّه يوجد بينهم مَن بوسعه ان يقضي بين إخوته. يوافق موقف بولس في هذا المضمار التصرّف المتّبع من قبل يهود الشتات طيلة قرون بحيث كان اللجوء إلى محكمة غير يهودية أمرًا منبوذًا قطعًا لا بل كان من الممكن أن يؤدّي إلى حرم المدّعي، إذ كان على الفريقين المتنازعين ان يتقاضيا أمام المحكمة الربّينية. بالطريقة عينها، كان بولس يتمنّى أن تُحلّ الأمور بين مسيحيي كورنتس.

في هذا الإطار عينه، يمكننا أن نكوّن صورة واضحة عن بولس الذي ما زال يتوجّه يوم السبت إلى المجمع كما كان قد دأب عليه منذ صغره[٨].

وأخيرًا، بانتمائه إلى التيّار الفرّيسي كان بولس يتبنّى العقيدة الفرّيسية المتعلّقة بقيامة الأموات[٩]، وهذا ما شكّل التمهيد الطبيعي لقناعته أنّ المسيح الذي ظهر له على طريق دمشق هو بكر القائمين من بين الأموات. لم يجد بولس أيّة مشكلة بالنسبة إلى موضوع قيامة الموات، لا بل يمكننا القول بكلّ بساطة أنّ هذا الموضوع يسري في عروقه منذ زمن طويل، فهو يشكّل إحدى النقاط الرئيسية التي تُميّز التيّار الفرّيسي عن التيار الصدوقي. فلقد أثار بولس ذاته موضوع القيامة اكثر من مرة وذلك في إطار مواجهته للذين يقولون إنّه لا قيامة للأموات[١٠]. جديد بولس هو إفادته أنّ قيامة يسوع المسيح قد حصلت وقد صار بذلك بكر القائمين (را ١كور ١٥: ٢٣)[١١].

---

[٨] را أع ١٣: ٥، ١٤؛ ١٤: ١؛ ١٦: ١٣؛ ١٧: ١-٢، ١٠، ١٧؛ ١٨: ٤، ١٩؛ ١٩: ٨.

[٩] على عكس الفرّيسيين، كان الصدوقيون يُنكرون قيامة الأموات، ذلك أنّ هذه العقيدة الحديثة نسبيًا في اليهودية، لا تجد أيّ دعم مباشر في كتب التوراة وبالتحديد في كتب الشريعة الخمسة.

[١٠] را أع ٢٣: ٦-٩؛ ٢٤: ٢١؛ ٢٦: ٨؛ رو ٤: ١٧؛ ١١: ١٥؛ ١كور ١٥: ١٢، ٣٢، ٤٢، ٥٢، ٥٣؛ ٢كور ١: ٩؛ ١: ١٠؛ ٥: ١٤؛ فل ٣: ١١؛ ١تس ٤: ١٦؛ ٢ طيم ٢: ١١.

[١١] لا بدّ من الإشارة إلى أنّ موضوع قيامة يسوع من بين الأموات سيكون محور تبشير بولس ونقطة الارتكاز في عظاته، إذ "لولا قيامة المسيح لأصبح التبشير باطلاً" (١كور ١٥: ١٤). إنّ وفرة ورود موضوع قيامة المسيح في أعمال الرسل وفي رسائل بولس لأسطع دليل عن أنّه الموضوع الرئيسي في تبشير بولس (را أع ١٧: ٣، ٣١، ٣٢؛ ٢٥: ١٩؛ ٢٦: ٢٣؛ رو ١: ٤؛ ٤: ٢٤؛ ٥: ١٠؛ ٦: ٤، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١١؛ ٧: ٤؛ ٨: ١١، ٣٤؛ ١٠: ٧، ٩؛ ١٤: ٩؛ ١كور ١٥: ١٣، ١٦، ٢٠، ٢١؛ ٢كور ٥: ١٥؛ غل ١: ١؛ أف ١: ٢٠؛ ٢: ٥؛ فل ٣: ١٠؛ قول ١: ١٨؛ ٢: ١٢، ١٣؛ ١تس ١: ١٠؛ ٤: ١٤؛ ٥: ١٠؛ ٢طيم ١: ١٠؛ ٢: ٨).

أمثلة عديدة تُثبت لنا أنّ تنشئة بولس، اليهودية بشكل عام والفرّيسية بشكل خاص، ظلّت تلازمه طيلة حياته، دون أن يجد ايّ عائق في العودة إليها لدعم رأيه.

خاتمة

غالبًا ما نظر اليهود إلى بولس وكأنّه اليهودي الجاحد إيمانه والذي اختار أن يسلك طريقه نحو الوثنيين، ولكن ألا يمكننا أن نتصوّر أنّ حبّه الشديد لشعبه هو الذي أملى عليه أن يسلك طريق الأمم[١٢]، بالنسبة إليه، فقط "قسم من إسرائيل" قسّى قلبه إزاء الخلاص الممنوح من المسيح، فقساوة القلب التي أصابت قسمًا من إسرائيل محدودة بالزمن إذ ستبقى قائمة "إلى أن يدخل الوثنيون بكاملهم" إلى المؤمنين المسيح، عندها سيخلص إسرائيل بأسره وإذّاك ستأتي قيامته التي يسمّيها بولس "حياة تنبعث من الأموات" (رو ١١: ٥). من هنا نفهم هذا الهلع الشديد الذي يدفعه لأن يوصل البشرى الإنجيلية إلى الوثنيين، إذ كلّما ردّ الوثنيين إلى المسيحية، كلّما قرّب ساعة افتداء اسرائيل.

أخيرًا لا بدّ من التنويه أنّه إذا كنّا قد أظهرنا بولس في بُعده اليهودي في ما يخصّ شغفه بشعبه وتجذّره بتنشئته، تبقى مواضيع جمّة قد تطرّق إليها رسول الأمم ولا تجد أيّ قاسم مشترك مع التعليم اليهودي أو الفرّيسي، مثالاً على ذلك المسيح الذي أخلى ذاته كما جاء في فل ٢: ٥-١١، ثمّ بخصوص موضوع الصليب، أشنع آداة حكم الإعدام في أيامه، وهو يجسّد ميتة اللعنة والخزي، فمجرّد فرضية الصليب تلحق العثار باليهود وخيبة الأمل، ها هو بولس، بعد لقائه بالربّ يسوع، وبعد إدراكه مدى أهمية الصليب المؤدي إلى القيامة والخلاص، لا ينفك يجاهر أنّه مذّاك "لم يشأ أن يعرف شيئًا غير يسوع المسيح بل يسوع المسيح المصلوب" (١كور ٢: ٢). فإذا كان الله قد ظهر في يسوع المسيح، كما يؤكّد ذلك بولس، ينتج عن ذلك أنّ الله ذاته قد تواضع في شخص المسيح، وهذا الموضوع يبدو أيضًا مغايرًا للتفكير اليهودي الذي لا يمكنه أن يقتبل فكرة إخلاء الله لذاته ليظهر في إنسان.

المراجع

BEN-CHORIN, S., *Paul, un regard juif sur l'Apôtre des Gentils*, Paris 1999.
BUBER, M., *Deux types de foi, foi juive et foi chrétienne*, Paris 1991.
DAVIES, W.D., Paul and Rabbinic Judaism, some Rabbinic Elements in Pauline Theology, London 1955.
ELLIS, E.E., *Paul's Use of the Old Testament*, Oregon 1981.

[١٢] لنسمعه يقول: "فإِنِّي لا أُريدُ، أَيُّها الإِخوَة، أَن تَجهَلوا هذا السِرّ، لِئَلاَّ تَعُدُّوا أَنفُسَكم مِنَ العُقَلاء: إِنَّ قَساوةَ القَلْبِ الَّتي أَصابَت قِسمًا مِن إسرائيلَ ستَبْقى إِلى أَن يَدخُلَ الوَثنِيُّونَ بِكامِلِهم، وهكذا يَنالُ الخَلاصَ إِسرائيلُ بأَجمَعِه، فقَد وَرَدَ في الكِتاب: "مِن صِهْيونَ يَأتي المنقِذُ ويَصرِفُ كُلَّ كُفْرٍ عن يَعْقوب. ويَكونُ هذا عَهْدي لَهم حينَ أُزيلُ خَطاياهم" (رو ١١: ٢٥-٢٧). يكتب بولس هذه السطور وهو في حالة انتظار اسكاتولوجي مسمّرة على الحاضر.

PRAT, F., *The Theology of St Paul*, I, London 1945.
ROSENZWEIG, B., "The Hermeneutical Principles and their Application", *Tr* 13 (1972) 49-76.
THACKERAY, H. St. J., *The Relation of St Paul to Contemporary Jewish Thought*, London 1900.